**كلِّية الآداب / قسم اللغة العربيِّة الدَّكتور قصي عدنان الحسيني**

**الأدب الأندلسي / المرحلة الثَّالثة/ مسائي 1436 ـ1437هـ /2015ــ 2016م**

**المحاضرة الثَّانيَّة عشْرة :**

**الموشَّحات الأندلسية**

**أولا ـ تعريف الموشّح في اللّغة :**

**الموشَّح :** اسم مفعول من الفعل وشح ، وقد ورد في القاموس المحيط : الوشاح (بالضَّم والكسر ) كرسان من لؤلؤ وجوهر منظومان يخالف بينهما ، معطوف أحدهما على الآخر ، ويقال : توشَّح بسيفه ، وثوبه : تقلدّه .

ولسنا نعلم من أطلق هذه التَّسمية للمرة الأولى على هذا الفن الشِّعري ، ويرى الدّكتور إحسان عباس أن سبب التَّسمية هو : **" تصور الأندلسيين }أن{ هذا النَّوع من النظم كرقعة الثَّوب ، وفيه خطوط أو سمِّها أغصاناً تنتظمه أفقياً أو عمودياً " ، وارتباط الموشَّح بالبيت الأخير في كل مقطع يظهره بشكل حلقات الحزام .**

**تعريف الموشّح في الاصطلاح :**

**فهو : فن شعري فيه لون جديد من النظم ، ظهر في الأندلس ،** وازدهر في القرن الرابع الهجري الموافق للقرن العاشر الميلادي ، وأبرز ما تميز به الموشّح **هو : الخروج على وحدتي الوزن والقافية ، والعناية الشديدة بالموسيقى ؛ وذلك لأنه وُضِعَ أصلاً للغناء ، ودخلت على الموشح الألفاظ العاميّة العربية والأعجمية الإسبانية ، والوشّاح :** هو الذي يَنْظِّمْ الموشّحات **، وسُمّي الموشّح ؛** هكذا تشبيها ً له بوشاح المرأة ، وهو قطعة من القماش النفيس المزخرف كانت المرأة الأندلسية تشدّه بين كتفيها وخاصرتها ، ووجه الشّبه هو في الزخرفة والترصيع.   
 **ثانياً ـ أقسام الموشّح :** تعددت أقسام الموشّح وتنوعت حتى انه لم يعد بالإمكان وضع نظام يطبق على كل القصائد. لكن أكثر الموشّحات تبعث نمطا ً معيناً، وهي : **1 . المطلع أو اللازمة أو المذهب :** وهو ما يُفتتح به الموشّح ، ويأتي مستقلا ً عن سائر أقسام الموشّح ، وقد تكون قوافي المطلع متفقة أو مختلفة ، ولا يشترط ان يكون لكل موشّح مطلع فإن وُجِد سُمّي الموشّح تاماً وإلّا فهو أقرع .

**2ـ الدّور :** وهو الجزء الّذي يأتي بعد المطّلع وقبل القفل . **3 . القفل :** كلام يتكرر بوزنه وعدد أجزائه وقافيته مع كل دور. وليس هناك عدد محدود من الأقفال، ولكن الملاحظة أن أكثر الموشحات لها خمسة أقفال.   
**4 . البيت :** كلام يتكرر بوزنه ، وعدد أجزائه من دون قافيته، وهو يقع بين قفلين ، والحدِّ الأدنى لأقسام البيت ثلاثة ، وقد تكون الأقسام أربعة أو خمسة وقلما تجاوزت هذا العدد .   **5 . الخرجة أو قفل النهاية :** هي آخر قفل في الموشّح ، والخرجة عند بعض الوشّاحين تعتبر في غاية الأهمية. وتأتي أحيانا ً مختلفة عن سائر الأقفال إذ يجوز فيها اللحن ، ومن المستحسن أن تكون طريفة عذبة فيها نكتة أو نادرة أو حكمة، وقد تأتي بالعامية أو بالأعجمية **............................................................**   
   
**6 . الغصن والسمط :** الغصن هو كل جزء من القفل ( كذلك في المطلع والخرجة )، فالغصن في المثل الآتي هو : (( ايها الساقي إليك المشتكي)) ، والسمط هو كل جزء من البيت : (( ونديم همت غرته. )) **،** وتجدر الإشارة إلى اختلاف الآراء حول مكان كل من البيت والدور، فابن سناء الملك يستعمل كلمتي بين ودور للدلالة على ما أوضحناه، وكذلك الأبشيهي ، بينما عكس بعض الكتاب ذلك فجعلوا البيت مكان الدور والدور مكان البيت.

**ثالثاً ـ نشأة الموشَّح والغاية منه :**

تختلف الآراء حول كيفية نشوء فن التوشيح ، لكن المؤرخين الأندلسيين يتفقون على أن الموشحات نشأت عندهم ثم انتقلت إلى الشرق، ومن هؤلاء ( المقّري ) و (ابن بسام ) و (ابن خلدون) ، وان بعض الدارسين يشكُّ في صحة نسبة هذا الفن إلى الأندلسيين . أما بداية هذا الفن فلا ندري بالتحديد متى كانت وعلى يد من نشأ ، **فابن خلدون يرى : أن مخترع هذا النظم هو ( مقدم بن معافر الفريري )** الذي ينتمي إلى أواخر القرن التاسع وأوائل القرن العاشر ( الرابع الهجري ) ، **بينما ابن بسَّام يرى انه ( محمد القبري الضرير) أو هو ( ابن عبد ربه)** .وفيما يتعلق بالغاية التي من أجلها وضع هذا الفن فهناك اكثر من رأي ، يقول : ابن خلدون ( بأن المتأخرين من الأندلسيين استحدثوا هذا الفن ؛ عندما كَثُر الشعر عندهم ، وتهذّبت مناحيه وبلغ التنميق فيه الغاية ، ولكن رواد هذا الفن ليسوا متأخرين ، إذ أنهم عاشوا قبل أن يبلغ الشعر الأندلسي درجة عالية من التنميق ، ولعل وضع هذا النوع من النظم يعود إلى دوافع موسيقية ، فالمغنون والموسيقيون شعروا بالحاجة إلى تغيير الأصوات والأنغام عن طريق اشتراك عدة مغنيين في جوقة تتنوع فيها الألحان ، وبتعدد المغنيين في غناء واحد حمل الشعراء إلى وضع مقطوعات متعددة ***ليكفوا*** بها الموسيقيين مؤونة البحث عن الأشعار الصالحة لهذه الطريقة في الغناء، فكانت الموشحات المتعددة الأوزان ؛ لهذا نجد أن أكثر الموشّحات التي وضعت في الحقبة الأولى من ظهوره حافظت على الوزن الواحد مع تعدد القوافي وتنوع أقسام البيت ، وفيما بعد تحررت كلياً من الأوزان الخليلية ، مع حذف بعض الوشاحين المتأخرين على الوزن الواحد في قصائدهم. ويبدو ان الموشحات لم تكن وقفاً على فئة معينة مختارة من الناس من دون سواها، بل جعلت قصائد شعبية بدليل وجود الخرجة الأعجمية والألفاظ الإسبانية أو العامية والمخالفة لقواعد اللغة.  **رابعا ـ موضوعات الموشّحات :...............................................:   
 إنَّ الغاية الأساسية من فن الموشحات هي الغناء،** فلابد بالتالي من أن تكون موضوعاتها مناسبة لهذه الغاية ، ولذا اهتم الوشّاحون أول الأمر بالغزل ووصف الطبيعة ، ثم استغل هذا الفن في حقل المدح ؛ لأن أفضل مجالس الغناء كانت تعقد في قصور الملوك والأمراء فجعلت الموشحات سبيلا ً للحصول على عطايا الممدوح، وكان بعض الوشّاحين يبدؤون مدائحهم ويختمونها بالغزل.   
على ان الطبيعة كان لها النصيب الأوفر في عالم الموشحات ، فالأندلسيون تعلّقوا بطبيعة بلادهم فلم يتخلوا عنها في قصائدهم، وقلما نقرأ موشّحة ، ولا نرى فيها ذكرا ً للطبيعة بألوانها وأزهارها وعمرانها ومدنها ، فالشاعر يسحره الماء في الجداول والبرك وتطربه الأطيار، وكل صورة من صور الطبيعة تبدو عنده شاعرة حساسة كما لو كانت إنسانا ً عاقلا ً، وإذا كانت الطبيعة قد أثّرت في مشاعر الأندلسيين واخيلتهم ؛ فلأنهم انتقلوا من بادية قاحلة إلى ارض خصبة غنّاء ومن لفحات الريح السامَّة وحرارة الشمس الكاوية إلى الظلال الوارفة والنسائم الناعمة، فلا عجب بعد ذلك ان جعلوا للطبيعة مقاما ً خاصا ً في قصائدهم.  **خامساً ـ شعراء الموشّحات:...........................................................** وردت أسماء بعض الوشّاحين في كتب المؤرخين ، فعلمنا أن فن التوشيح كانت بدايته على يد **(مقدم بن معافر الفريري)** أو **(محمد القبري الضرير)** أو **(ابن عبد ربه الأندلسي)** ، وهؤلاء ضاعت موشحاتهم ! وأول وشّاح اشتهرت قصائده هو **(يوسف بن هارون الرمادي)** الشاعر القرطبي الذي عاش أيام عبد الرحمن الناصر(عصر بني أُمية) ، وكان شعره معروفا ً عند العامّة والخاصّة ، ولكن قصائده لم يكن لها ذلك التقسيم الواضح في الأقفال والأبيات ، وإنما كان الرمادي أول من جعل البيت الشعري عدة أقسام أو أغصان أو أسماط ، وقد ضاع ديوان الرمادي ولم تصل منه إلا مقطوعات متفرقة ، ثم جاء **(عُبادة بن ماء السماء)** في القرن العاشر الميلادي، الرابع الهجري، فاكتملت على يده صورة الموشّح ، ولكن موشحاته على كثرتها قد ضاعت ، ولم يبق منها إلا القليل. ويخلط بعض النقاد بينه وبين (عبادة القزاز) شاعر المعتصم بن صمادح ملك المرية ، وفيها يقول :   
**ولو لم أكــــنْ عـبــــــداً لآلِ صـمــــــادح**

**وفي أرضـهـم أصلي وعيـشــي ومــولـدي**

**لَــمــا كـــان لــي إلَّا إلـيـهـم تــرحـــــــــلٌ**

**وفـي ظِـلِّـهـم أُمـسـي و أُضحـي وأَغـتـدي**

**المحاضرة الثَّالثة عشْرة :**

**ومن مشاهير الوشَّاحين في عصر ملوك الطوائف:**

**(أبو بكر محمد بن عيسى الداني) المعروف بابن اللبانة، وكان شاعر المعتمد بن عباد ، توفي في سنة 507 هجرية،** والمعروف أن ابن اللبانة تبع أميره المعتمد إلى منفاه ومدحه بعدة قصائد ، ولم يقبل مكافئته إخلاصا ً منه ووفاء لذكرى الأيام التي قضاها في بلاط أشبيليه. من موشحاته المشهورة قصيدته مطلعها:

**فـي نـرجـسِ الأحـــداقِ وسـوســنِ الأجـيــــادِ**

**نَـبـْــــتُ الهــوى مغــروسٌ بـيـن القـنا المَـــيادِ**

**ومن الموشحات المنسوبة لابن اللبانة قوله:**

**شاهـدي في الحبِّ من حرقي**

**أدمـــــعٌ كالجـمـــرِ تـنـــذرفُ**

**تعجــزُ الأوصـافُ عـن قمـــرِ**

**خـــــدُّهُ يـُدْمِـي مـــن النـظــرِ**

**بـشــرٌ يســمـو على البشــــرِ**

**قــد بــراه الله مـن عـلـــــــقِ**

**ما عســى في حسنه أصــفُ**

**كما عُرِفَ عدد من الوشاحين منهم : (أبو الحسن على) المعروف بابن الزَّقَّاق المتوفى 530 هجريه،** وقد وضع مجموعة قصائد اتصفت بدقة الألفاظ وبساطة المعاني والصور المبتكرة والموسيقى الغنية. **وهناك (أبو الحسن علي الضرير) المعروف بـ(الحصري) صاحب القصيدة المشهورة ( ياليلُ الصَّبِّ متى غدُهُ (الصَّبِّ : مضاف اليه)، (ياليلُ ، الصَّبُّ متى غدُهُ ؟ ؟؟؟؟) التي نسج الكثيرون على منوالها، وقد كان (الحصري) من شعراء المعتمد بن عباد صاحب أشبيليه،** وفي آخر حياته عاش بمدينة طنجة حيث مات سنة 488 هجريه**.   
أما أبو جعفر أحمد بن علي الضرير ( فكان معروفا ً باسم ) الأعمى التطيلي نسبة إلى بلدته (تُطيلة) قرب سرقسطة ،** وقد توفي في حدود سنة 520 هجريه، وله ديوان شعري متنوع الموضوعات، وكانت شهرته الأدبية مبنية على ماله من موشحات، منها التي مطلعها : .........................................................:**ضاحكٌ عن جمانْ ســافـر عن بدر ِ**

**ضاق عنه الزمانْ وحواهُ صدري**

من بين شعراء الموشحات المشهورين **(أبو بكر يحيى بن عبدالرحمن) المعروف (بابن بَقِّي)** المتوفى بمدينة وادي آش سنة 540 هجريه ، **وتجدر الملاحظة إلى أن العصر الذهبي للموشحات الأندلسية بدأ مع (الأعمى التطيلي) و ( ابن بقي )، ومن الموشحات المشهورة قصيدة ابن بقي التي مطلعها :**

**ساعدونا مصبحينا نرتشفْها قد ظمينا**

**كنُضُارٍ فـي لجينٍ نِعمَ أجرُ العاملينا**

**وهناك الفيلسوف الأندلسي المعروف (أبو بكر محمد) المعروف بـ(ابن باجه)** الذي ترك مجموعة موشحات ، وفي مجال تعداد شعراء الموشحات لابد من ذكر إمام الزَّجَّالين **(محمد بن عيسى بن قزمان) ، وقد بدأ حياته ناظماً الشعر بالفصحى، ولما رأى نفسه مقصراً عن معاصريه كـ(ابن خفاجة) انتقل إلى النظم باللغة العاميَّة ، وقد توفي ابن قزمان في شهر رمضان 555 هجريه تاركا ً مجموعة موشحات منها :**

**معشر العُذال بي من الأقمار ِ**

**أغصن ميادة مِسْنَ في أكفال ِ**

**ومن الوشاحين (يحيى بن محمد الأنصاري الصيرفي)** المتوفى سنة 557 هجريه، وله موشحات متعددة المواضيع منها:

**روضة زبردجية ونســـــيمٌ يتبختــــر**

**في غلائل ندية أُشربت مِسكا ً وعنبرْ**

**سحب من لازَوَردٍ وبروقٍ من نضار**

**كلما أتت بوعــــد كحلت بمثل نــــار**

**فبكت من ماء ورد ِ في خدود من بهار**

**ومن كبار وشاّحي الأندلس (أبو بكر محمد) المعروف (بالحفيد بن زهر)، وهو أشهر شعراء عهد الموحدين، ولد سنة 504 هجريه، ومات سنة 595 هجريه، وهو من أسرة اشتهرت بالطب والأدب. نال حظوة لدى السلطان أبي يوسف يعقوب فكان طبيب القصر وشاعره، وهو صاحب الموشحة المشهورة التي مطلعها :**

**أيها الساقي اليك المشتكى**

**قد دعوناك وإن لم تسمع ِ**

ونثبت هنا قسما ً من موشحته التي مازالت إلى اليوم من القصائد المفضلة للغناء:

**هـل تـسـتـعــادُ أيـامُــنا بالـخـلـيــجِ ولـيـالِـيــنا**

**اذ يـستـفـادُ من النـسـيـمِ الأريجِ مِـسْـكُ دارِيـنا**

**واذ يـكـاد حـسـنُ الـمـكـانِ الـبـهـيـجِ يـُحْـيِـــنا**

**نهرٌ أظـلَّـهُ دوحٌ عـليـه أنـيـقٌ مــورقُ الأفـنـانِ**

**والماءُ يجري وعائمٌ وغريقُ من جَنى الرَّيحان**

**ومنهم (أبو إسحق ابراهيم بن سهل الإسرائيلي) ت 649هـ ،** شاعر إشبيلية ووشّاحها، كان يهودياً فأسلم ، وأشهر موشحاته هي التي يقول فيها :

**هل درى ظبيُ الحِمى أنْ قد حَمَى قلبُ صَبٍّ حَلّه عن مكنسِ**

وقد نسج على منوالها عدد كبير من الشعراء أمثال**: (لسان الدين بن الخطيب) ،** وبعد أفول شمس الموحدين دَبَّ الضعفُ في قصيدة الموشحات ومال الناس إلى شعر **(الزَّجل)** مع ذلك استطاع عهد بني الأحمر أن يُعطي عدداً من شعراء الموشحات اشهرهم **(لسان الدين بن الخطيب )، وهو أحد اعلام الشعراء والمؤرخين ورجال السياسة الأندلسيين ، وقد بدأ حياته كاتباً عند بني نصر المعروفين ببني الأحمر، وولى الوزارة في أيام الغني بالله، ثم تغير عليه السلطان ففر شاعرنا إلى المغرب، ومع ذلك قتل ابن الخطيب خنقا ً في سجنه 776 هجريه. وقد ترك ابن الخطيب كتبا ً متنوعة الموضوعات وقصائد منها موشحة مطلعها :   
جادكَ الغيثُ اذا الغيثُ هَمِي**

**يا زمانُ الوصلِ بالأندلس**

**أما تلميذ (ابن الخطيب ) أبو عبد الله محمد بن يوسف المعروف بـ(ابن زمرك)** فقد تولى الوزارة بعد فرار استاذه بعدما اشترك في المؤامرة ضده ، وقد قتل غيلة في سنة 795 هجريه. ومن موشحاته المشهورة تلك التي مطلعها :

**نسيم غرناطة عليل لكنه يبري العليل**

بعد هذا العرض لأهم وشاحي الأندلس، لم نعرف كيف انتقلت الموشّحات الى المشّرق لكن يرجّح بعضهم ان **(ابن سناء الملك) ،** كان له الفضل في تعريف المشارقة بهذا الفن بعد ما وضع كتابه **: (دار الطراز في عمل الموشحات) ، ولابد اذاً من ان يكون (ابن سناء الملك) أول الوشّاحين المشارقة ،** إذ عرفت له قصائد رقيقة في هذا الفن، وقد توفي هذا الأديب المصري في حدود سنة 608 هجريه.

**ومن الوشّاحين المشارقة المصري (كمال الدين على بن محمد) المعروف بـ(ابن النبيه) الذي تولى ديوان الخراج في أيام الأيوبيين ، وقد توفي في حدود سنة 619 هجريه. ومنهم (محمد ابن سليمان التلمساني المعروف بـ(الشاب الظريف) والمتوفى سنة 688 هجريه في دمشق. ومن الوشّاحين المشارقة (صدر الدين محمد) المعروف بـ(ابن الوكيل) المتوفى في القاهرة سنة 716 هجريه، ومن أجود موشحاته تلك التي ضمنها أبياتا ً من نونية ابن زيدون، وفيها يقول :   
  
غدا ً منادياً محكما ً فينا**

**يقضي علينا الأسى لولا تأسينا**

**ومن الأسماء التي اشتهرت في النصف الأول من القرن الثامن للهجرة (الصلاح الصفدي) الذي ولد بصفد فلسطين وتوفي بدمشق سنة 764 هجريه.   
ولا يمكن أن نغفل شاعر العراق المعروف (صفي الدين الحلي) المتوفى ببغداد سنة 750 هجريه، وفي ديوانه موشحات يظهر فيها التكلف ، ولزوم ما لا يلزم ، مما جعلها خالية من الروح العفوية.**

**وبعد أن انتهى أمر التوشيح في الأندلس مع تسليم مملكة غرناطة سنة 897 هجريه، استمر المشارقة ينظمون الموشحات حتى وصلوا بهذا الفن إلى عصر النهض ، وعصرنا الحاضر .**